"ابن تيمية والمغول"

دراسة تاريخية تحليلية في العصر المملوكي الأول

658هـ/784هـ - 1260-1382م

احمد الجوارنه و عبدالمعز بني عيسى*

ملخص

الاضطرابات السياسية الحادة والفوضى الفكرية، والفساد الاجتماعي، والانهيار الاقتصادي ظروف التي مرت بها منطقة الشرق الإسلامي في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) على أثر الاجتياح المغولي للعالم الإسلامي، فكان سقوط الدولة الخوارزمية 1222م وسقوط الخلافة العباسية 656هـ/1258م، وسقوط بلاد الشام على يد هولاكو 658هـ/1260م، حصل ذلك قبل دخول المغول في الإسلام، أما بعد دخولهم فكان اجتياح المغول لبلاد الشام عام 1299م على يد محمود غازان حيث دولة المماليك الأولى تسيطر على مصر والشام، فبعد اطمئنان العالم العربي والإسلامي لدخول المغول في الإسلام، بدأت هناك تحولات إزاء انتسابهم له سواء على الصعيد الشعبي أو الرسمي، ولقد اتخذ ابن تيمية موقفاً معادياً للمغول، فكراً وعقيدة.

سنحاول في دراستنا هذه والمتعلقة بفكر وفقه ومواقف ابن تيمية السياسية والعسكرية تجاه المغول الوصول إلى أهم الدوافع والبواعث التي اعتمدها ابن تيمية في استجلاء آرائه والتي جاءت بمجملها مناهضة لعقائد المغول وسياساتهم التوسعية في منطقة الشام والعراق من خلال التعرف على تلك الدوافع التي شكلت الإطار العام لفكر ابن تيمية، سواء كان ذلك من خلال الأحداث التي أعقبت سقوط الخلافة العباسية في بغداد، أو الظروف التي مرت بها بلاد الشام إثر الاحتلال المغولي لها بقيادة محمود غازان في الأعوام (699 ، 700 ، 701 ، 702 AH / 1299، 1300، 1301،1302 AD).

ومن أهداف هذه الدراسة الغوص في فقه وفكر ابن تيمية إزاء المغول، والكشف عن مواقفه السياسية، ومحاولاته الدبلوماسية في ردع المغول عن احتلال الشام، وموقفه الجهادي العسكري الذي تجلى في أكثر من موقع، وكان له الأثر المباشر على تحقيق وحدة مصرية شامية وتحرير الشام من المغول.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2014.

* قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن

"موقف ابن تيمية من المغول"

دراسة تاريخية في العصر المملوكي الأول

ظهور المغول المفاجئ ومؤثراته السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، الواسعة، اعتبر ظاهرة غريبة وفريدة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ويكمن وجه الغرابة في هذا الأمر في سرعة السيطرة والسيادة التي فرضها المغول على العالم الإسلامي، بدءاً بالدولة الخوارزمية [1]، وهي من الدول الإسلامية ذات الاعتبار والمكانة المميزين في عصرها، فالدولة العباسية، وسقوط بلاد الشام في أعوام 658هـ/1260م على يد هولاكو، وعام 699هـ/1299م على يد السلطان محمود غازان[2]، جعلت العالم في حيرة، وبالذات شعوب العالم الإسلامي والمثقفون من أبنائه، وبدت هذه الحيرة كبيرة عند المؤرخين الذين عاينوا تلك الأحداث كابن الأثير (630هـ/1232م) والنسوي (637هـ/1239 م) والجوزجاني (658هـ/1260م) وابن تيمية (728هـ/1322م) [3].

ولاحظنا التحول الكبير في مسار المغول الفكري والعقائدي، فرغم سيادتهم المطلقة التي تمتعوا بها في المشرق الإسلامي، إلا أنهم تأثروا بالعقيدة الإسلامية وثقافتها، فاعتنقوا الإسلام بشكل جماعي وكان ذلك مدعاة لسرور الشعوب الإسلامية. إذ أن تحول المغول من حالة العداء والشرك إلى إخوان في الدين والمعتقد، على الرغم أن إسلامهم لم يردعهم من الاستمرار في سياسة التوسع والاعتداء على مصالح المسلمين، والعبث بمقدراتهم وممتلكاتهم، وإفساد دور العلم والمعرفة وتدميرها. وتبين ذلك من خلال حركة السلطان المغولي محمود حاكم إيلخانية العراق وفارس (693-704 هـ/1295-1304م) في إحتلال دمشق وبلاد الشام[4]، حيث رفع المغول في هذه الحملة شعارات مناصرة للإسلام، فأعلنوا أنفسهم حماة للدين ومحافظين على سيادة التشريعات الإسلامية العادلة الضامنة لحقوق الناس، معتمدين أن بلاد المسلمين في الشرق وغيرها، جزءاً لا يتجزأ من دولتهم وسيادتهم ورعاياهم، هذه الحادثة الأليمة التي شنّها محمود غازان وسابقاتها سقوط بغداد عام 656هـ/ 1258م، وسقوط بلاد الشام عام658هـ/ 1260م، أحدثت نظرة سياسية، وفكرية، وفقهية مميزة، لدى العلامة أحمد بن تيمية (728هـ/1327م) تجاه المغول وإنتسابهم للإسلام.

لقد كشف الباحثون والمحققون دور ابن تيمية في الإصلاحات السياسية، والفكرية والاجتماعية في بلاد الشام في تلك الحقبة التاريخية، المليئة بالأزمات الخانقة، وبينوا النشاط الكبير الذي ظهر منه في الصراع الدموي بين المغول المسلمين، بقيادة غازان، ودولة المماليك بقيادة السلطان محمد بن قلاوون [5] على أرض الشام. وبالإضافة إلى كون ابن تيمية محدّثا، وفقيها، وواعظاً ومفسراً، ومتكلماً، فقد تميز أيضاً بذهنيته الثاقبة التي لا تؤمن إلا بالمحسوس، والدليل، والبرهان، والعمل.

هذا الإيمان دفع به إلى ساحة المعركة الفكرية، والسياسية، والعسكرية، مع المغول، ومن تحالف معهم ضد مصالح المسلمين في العالم الإسلامي، ولقد جعلنا من أهدافنا في هذه الدراسة التعرف على الظروف السياسية، والاجتماعية، والفكرية التي ساهمت بشكل مباشر في صياغة الإطار العام لفكر ابن تيمية حول المغول ومن ناصرهم. وهل كان ابن تيمية محقاً عندما اتخذ منهم موقفا متشددا، سواء ما صدر عنه من آراء فقهية تخرج المغول المسلمين من دائرة الإسلام وعقيدته، أو موقفه العسكري المباشر في حملته المعادية لهم وذلك عن طريق بناء جبهة إسلامية من الشاميين والمصريين بزعامة المماليك، للحيلولة دون تقدم الخطر المغولي أو تحقيق أهدافه التوسعية؟ هل أدى الاضطراب العقائدي، والفكري، والثقافي، لدى المغول ليجعل منهم أمة ضبابية العقيدة، وغير واضحة في مسلكها السياسي؟ هذه الفرضيات وغيرها التي ستنصب على دراسته، وتوضيح هذه الدراسة ذات الصلة بالمغول، وموقف ابن تيمية الفكري والسياسي منهم من خلال المعطيات التاريخية.

أولاً: تداعيات سقوط بغداد في بناء فكر ابن تيمية تجاه المغول:

ليس عقلانياً أو منطقياً إصدار حكم فج في أي شأن من شؤون الحياة لا سيما عند المحققين والباحثين الذين يتخذون من الدلائل، والبراهين، والوقائع، حجة في إصدار أحكامهم، وبناء آرائهم، وابن تيمية واحد من أولئك الذين تريثوا كثيراً إزاء الهجمات المغولية على بلاد الشام وغيرها، ولم يسمح لنفسه إصدار أحكام التأييد أو المعارضة لهم، إلا بعد معاينة سلوكهم الديني، والسياسي، ولمس أهدافهم التوسعية، وقارن بين القديم والجديد في حياة المغول، ولم يجد تلك الفروق الكبيرة لا في فترة ما قبل إسلام المغول، ولا بعدها. ورأينا أن نلاحق الأحداث المغولية، والظروف التي أحاطت بمسيرتهم في عالمنا العربي والإسلامي، لنضع الأسس التي اعتمدها ابن تيمية في مناهضته الفكرية والعقائدية والسياسية ضدهم.

أظهر نصير الدين الطوسي دهاء ومكرا وبراعة عندما قرر هولاكو إسقاط بغداد، واحتلال ملك الخلافة العباسية. إذ تشاور بذلك مع أركان دولته فوجد الأغلبية مؤازرة ومؤيدة له، إلا واحداً يدعى حسام الدين المنجم الفلكي (ت 656هـ / 1258م) الذي خالفهم جميعا بقوله: "إنه ليس ميمونا قصد أسرة الخلافة والزحف بالجيش إلى بغداد، إذ أن كل ملك- حتى زماننا هذا- قصد بغداد والعباسين، لم يستمتع بالملك والعمر، وإذا لم يصغ إلى كلامي فسيظهر ستة أنواع من الفساد، إذ تنفق الخيول كلها ويمرض الجنود، أن الشمس لا تطلع، إن المطر لا ينزل، تهب ريح صرصر وينهار العالم بالزلازل

ولا ينبت النبات في الأرض وأن الملك الأعظم يموت في تلك السنة"[6]، يرجح أن حسام الدين المنجم قصد من ذلك ثني هولاكو عن الزحف نحو بغداد، وإسقاط الخلافة العباسية بتخويفه وتهويل الأمور أمامه، لاعتقاده أن هولاكو يؤمن بالنجوم والفلكيات إيماناً كبيراً فاتاه من حيث يعتقد، لكن هولاكو لم يطمئن لأقوال حسام الدين فاستدعى نصير الدين الطوسي وهو الخبير في علوم الفلك والنجوم واستشاره في الأمر فقال نصير الدين الطوسي لهولاكو: "لن تقع أية واقعة من هذه الأحداث فقال هولاكو: إذاً ماذا يكون قال: نصير الدين الطوسي أن هولاكو خان سيحل محل الخليفة"،[7] واتخذ هولاكو من أقوال الطوسي حجة ودليلا على إسقاط بغداد والخلافة العباسية.

ثم اختار هولاكو نصير الدين الطوسي سفيراً له إلى الخليفة العباسي يحثه على الانصياع والتسليم دون إراقة الدماء[8]، مع أن معظم مخاطبات هولاكو للزعماء المسلمين كان يكتبها نصير الدين الطوسي، ولقد بادر وزير الدولة العباسية مؤيد الدين ابن العلقمي إلى مراسلة المغول والتقرب إليهم، واضطلع الطوسي بدور كبير في حبك خيوط المؤامرات مع وزير العباسيين، ووثق أواصر الصداقة بينه وبين هولاكو وقادة المغول في إيران، ونلاحظ أن ثمة إجماعاً عند المؤرخين المسلمين حول تورط ابن العلقمي بالمؤامرة التي أطاحت برأس النظام العباسي، وأبادت حاضرتها بغداد، في الوقت الذي ظل ابن العلقمي يتردد بين بلاط هولاكو وبلاط الخليفة العباسي، ويجتمع بوزير هولاكو نصير الدين الطوسي آخذاً منه النصائح والمشورة[9].

وفي سياق هذا البحث نجد من الضرورة استعراض بعض آراء المؤرخين المسلمين الذين أشاروا بأصابع الاتهام إلى مؤيد الدين ابن العلقمي بتورطه في حادثة إسقاط مدينة بغداد، فقد ورد في طبقات ناصري:" كان لأمير المؤمنين المستعصم بالله[10] وزيرٌ مستشارٌ من المذهب الشيعي، وكان اسمه أحمد مؤيد الدين ابن العلقمي، وكان بين هذا الوزير وبين الابن الأكبر لأمير المؤمنين المستعصم شحناء ... فأدى هذا العمل إلى ظهور خلافات حادة بين المستعصم ووزيره ابن العلقمي... وانتقاماً لهذا كاتب الوزير هولاكو سراً مستدعياً المغول للهجوم على بغداد"[11]. وذكر أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 665هـ/1262م) عن حوادث سنة 656هـ/ 1258م: "إن التتار استولوا على بغداد بمكيدة دبرت مع وزير الخليفة ابن العلقمي"[12].

ويذكر ابن خلدون (808هـ/1406م أن هولاكو لما رجع إلى بلاد الاسماعيلية وقصد قلعة ألموت[13]، بلغته في طريقه وصية ابن العلقمي وزير المستعصم بالله ببغداد يستحثه للمسير إلى بغداد ويسهل عليه أمر فتحها[14]، ولقد حدث بعد مقتل الخليفة مساء يوم الأربعاء 41/صفر/656هـ/ 1258م وقضى على كل شخص كان برفقته، وأن

سليم مبارك شاه الابن الأصغر للخليفة أعطي "أولجاي خاوتن" زوجة هولاكو فأرسلته إلى مراغة ليكون مع الخواجة نصير الدين الطوسي، ثم زوجه هولاكو من امرأة مغولية فأنجب منها ولدين[15].

وبخصوص التهمة الموجهة لابن العلقمي، وتواطئه مع المغول في إسقاط الخلافة العباسية، اعترض بعض المؤرخين عليها ومنهم (جعفر حسين خصباك) موضحاً أن ابن العلقمي لم يكن قد تورط بحادثة سقوط بغداد مبرراً ذلك أن الخلفاء العباسيين هم السبب وراء وقوع الكارثة[16]. ومهما يكن فإن الذي أعقب تحطيم الخلافة العباسية، وتدمير بغداد من نتائج، تعد دليلاً قاطعاً يؤكد خيانة ابن العلقمي، ففي اليوم نفسه الذي قتل فيه الخليفة المستعصم بالله، ودمرت عاصمة الخلافة قام هولاكو بإرسال مؤيد الدين ابن العلقمي ليقوم بأعمال وأعباء الوزارة، مكرماً إياه ومنعماً عليه، فيما كلف فخر الدين الدامغاني ليكون صاحب الديوان، وجعل علي بهادر صاحب شحنة بغداد، ونصِّب عماد الدين عمر القزويني نائباً للأمير (قراتائي) ونظام الدين البندنيجي[17] قاضياً للقضاة[18] كما مضى ابن العلقمي بشرف الخدمة في بلاط هولاكو (الدركاه) [19]. وعندما توفي ابن العلقمي في 2/جمادى الآخر سنة 656هـ/1258م عين ابنه شرف الدين مكانه كوزير للبلاط[20].

وبالنسبة للمؤرخ الشهير رشيد الدين الهمذاني[21] (638هـ-718هـ)(1240-1318م) فقد حظي هو الآخر باحترام وتقدير المغول، [22] و شُغل وظائف هامة في عهد غازان خان الذي جلس على العرش سنة 694هـ/1295، فجعله موضع ثقته، وكافئه، على خدماته، ورفعه إلى المنصب الأول في الإمبراطورية، واختاره وزيراً له[23].

أبدى رشيد الدين الهمذاني رفضاً قاطعاً لابن تيمية في مقابلة السلطان محمود غازان، وذلك حينما سار سنة 699هـ/1299م على رأس حمله حربية إلى بلاد الشام، واستولى على دمشق، بعدما الحق هزيمة نكراء بجيش السلطان محمد بن قلاوون، وهذا دفع بالمغول إلى الانتشار حول دمشق والأماكن المجاورة لها، وعاثوا بها فساداً مما أثار حفيظة ابن تيمية الذي أبدى تخوفاً وقلقاً على حياة المسلمين ومصالحهم، فحاول التوسط لدى غازان ليأمر بالكف عن هذه الاضطرابات التي أحدثها جنده، فاجتمع برشيد الدين الهمذاني وشقيقه واحتجا بمرض السلطان، وأن السلطان إذا أحيط علماً بتلك الفظائع التي ارتكبها جند المغول عاقبهم بكل صرامة، وهذا العقاب سيجر على سكان دمشق أبشع أنواع الانتقام[24]. مما دفع ابن تيمية إلى إعلان الحرب عليه معلناً مروقه عن الدين، وأنه من كبار ملحدي العصر وزنادقته، وأعلن أن المغول الذين

يحتفظون بمثل هؤلاء لا يستحقون إلا أن يكونوا من زمرة الملاحدة والرافضة وغيرهم، واتخذ ابن تيمية ذريعة له في الطعن بعقيدة المغول لا سيما وأن أكثر وزرائهم من ضرب رشيد الدين اليهودي المتفلسف الذي انتسب إلى الإسلام مع ما فيه من اليهودية والتفلسف وضم إلى ذلك التشيع (الرفض) [25]. وثمة العلامة الشيعي أبو منصور حسن بن يوسف بن مطهر الحلي العراقي (726هـ/1325م) شيخ الشيعة في العراق والذي كان من المقربين للسلطان المغولي محمد خدابنده، ومن أصحاب المشورة لديه، اشتغل على نصير الدين الطوسي، وعندما أعلن السلطان خدابنده التشيع، أقطع الحلّي بلاداً كثيرة[26]، وألف للسلطان كتاباً يعتبر من أوثق المصادر في الفكر الديني الشيعي وأهداه للسلطان المغولي.

ونلاحظ أن ابن تيمية قد شن هجوماً عنيفاً على هذا الشيخ وعلى الأفكار التي وردت في مؤلفه وأورد لنا ما نصه، قال الشيخ ابن الحلي أما بعد: "فهذه رسالة شريفة ومقالة لطيفة اشتملت على أهم المطالب في أحكام الدين وأشرف مسائل المسلمين وهي مسألة الأمانة التي يحصل بسبب أدائها نيل درجة الكرامة، وهي أحد أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود في الجنان... خدمت بها خزانة السلطان الأعظم، مالك رقاب الأمم، ملك ملوك طوائف العرب والعجم، مولى النعم، ومسدي الخير والكرم، شاهنشاه المكرم غياث الملة والحق والدين اولجاتيو خدابنده، وسميتها منهاج الكرامة في معرفة الإمامة"[27].

دفع موقف ابن الحلي المعادي للدولة الإسلامية في بلاد الشام ومصر، ومؤازرته لدولة المغول، ابن تيمية إلى تأليف كتاب يرد فيه على أقوال وإدعاءات الحلي، قال فيه: "وهو خليق بأن يسمى منهاج الندامة"[28]، وألفّ كتاباً سماه منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، حمل فيه على الفكر الشيعي، بسبب بعض المواقف التي أدانت أصحابها بالموالاة للمغول، واحتلالهم للعراق وبلاد الشام[29].

1- سقوط بلاد الشام على يد السلطان محمود غازان (699هـ/1299).

لعل حادثة اجتياح الجيش المغولي بقيادة غازان خان لبلاد الشام من أكثر الحوادث تأثيراً في فكر ابن تيمية السياسي والديني، إزاء المغول وحلفائهم من المسلمين ومن يعمل في بلاطهم، وهي الحادثة التي أتاحت لابن تيمية فرصة التعايش والتعامل مع المغول وجهاً لوجه، واعتبر احتلال المغول لبلاد الشام حالة طارئة عصفت بمجتمعات الشام، وأنها هي التي أثارت الوازع الديني والعقلي عند ابن تيمية للتعامل مع المغول، فلمس ابن تيمية من خلال احتلال المغول لبلاد الشام سياستيهما الدينية والعسكرية

اللتين تستهدفان دمار الشام ودولة المماليك، وعليه بنى فكره وفقه وموقفه السياسي والعسكري تجاههم. ونجد من الضروري استعراض حيثيات الاحتلال المغولي للمدن الشامية وتعريض سكانها لأزمات سياسية واقتصادية واجتماعية خانقة، كان أخطرها اضطرار الناس إلى الهجرة و النزوح عن أوطانهم.

أ- الحالة السياسية والعسكرية التي فرضها الاحتلال المغولي.

طرأت على الساحة الشامية جملة من المتغيرات السياسية أعقبت احتلال المغول لبلاد الشام، و تمخض عن هذا الاحتلال أمران هما:-

1- السيادة المغولية الجديدة لبلاد الشام.

2- إقصاء النفوذ المملوكي عن المنطقة.

هذا التحول الطارئ على حياة المسلمين في بلاد الشام جاء نتيجة طبيعية بسبب تباطؤ المماليك عن حماية البلاد، وعدم الاستعداد الأمثل لصد هجمات المغول عنها، في 18 ربيع الأول سنة699هـ/1299م، و حدث أول لقاء مغولي إسلامي مع دولة المماليك بقيادة سلطانهم الناصر محمد بن قلاوون في موقع مجمع المروج (وادي خزندار)، وحقق المغول انتصاراً ساحقاً على المماليك، وعددهم لا يتجاوز خمسة وعشرين ألف فارس، بينما قوات المغول في نحو مائة ألف فارس[30]، وغيرت هذه المعركة مسار خريطة بلاد الشام السياسية، كان أبرز جوانب هذا التحول: خروج الجيش المملوكي، وسلطانهم إلى بلاد مصر خوفاً وذرعاً من المغول، تاركين مصير بلاد الشام لقيادة غازان، ولم يقتصر الأمر على هروب السلطان المملوكي في الشام، فقد لحق به العديد من الكفاءات والقيادات الإدارية والعلمية، وهرب جماعة من أعيان دمشق وغيرهم إلى الديار المصرية طلباً للأمان، واللحاق بركب السلطان المملوكي، و من الأعيان الهاربين، القاضي إمام الدين الشافعي وقاضي المالكية الزواوي، وتاج الدين الشيرازي، وعلم الدين الصوابي والي بر دمشق، وجمال الدين النحاس والي المدينة، والمحتسب، وغيرهم من التجار والعوام حتى فرغت دمشق من الأعيان، ولم يبق منهم سوى نائب القلعة[31].

ومن مظاهر التحول السياسي الأخرى لمنطقة بلاد الشام، سيطرة المغول على مدن الشام الكبرى الهامة فأخضعوا مدينة حمص، وأقصي واليها المملوكي الأمير ناصر الدين محمد بن صارم[32]، ثم أخضعت مدينة دمشق في 10 ربيع الآخر 699هـ/1299م[33]، وفي يوم الجمعة 14 ربيع الآخر 699هـ/1299م خطب لغازان على منبر دمشق بألقابه،

وهـي السـلطان الأعظـم سـلطان الإسـلام والمسـلمين مظفـر الـدنيا والـدين محمـود غـازان، وقرئ على الناس، وسائر الأعمال، وجعل إليه ولاية القضاة والخطباء وغيرهما[34].

بـدأ ينتـاب السـلطان المملـوكي حالـة مـن الـذعر والخـوف مـن المغـول، فلـم يعـد يهـتم بمصـالح بـلاد الشـام، والسـبب فـي ذلـك يعـود إلـى أن هـذه الـبلاد أصـبحت عرضـة لغـارات وأهـداف المغـول، وذلـك إشـارات علـى عجـز السـلطان عـن مقاومـة التوسـع المغـولي، الـذي جعـل بـلاد الشـام هـدفاً مـن مطامعـه المباشـرة، فقـد ورد فـي تـاريخ سـلاطين المماليـك أن السـلطان محمـود غـازان قـرر العـودة إلـى الشـام فـي مطلـع عـام 700هـ/1300م، وأن السـلطان محمـد بـن قـلاوون قـرّر مغادرتهـا فـي الوقـت نفسـه إلـى مصـر، لتصـبح مـدن الشـام كحلـب وحمـص وحمـاة وأنطاكيـة وسـيرين وجبـل السُـماق عرضـة لنهـب المغـول، حتـى سـبوا النساء والولدان، وراحوا يبيعون الأسرى بأبخس الأثمان[35].

حـاول بعـض المـؤرخين أن يجـدوا تبريـراً للسـلطان الناصـر قـلاوون بعـدم إظهـار عنايتـه بمصـالح المسـلمين فـي بـلاد الشـام، بـأن السـلطان حـاول العـودة إليهـا لحمايـة أهلهـا، ورد العـدوان المغـولي عنهـا. حيـث ذكـر صـاحب كتـاب تـاريخ سـلاطين المماليـك، والمقريـزي وابـن تغـري بـردي، أن الجيـوش المملوكيـة وصـلت إلـى قطـاع غـزة فـي شـهر صـفر مـن عـام 700هـ/1300م، وذكـروا أن الجـيش المملـوكي تعـرّض لـبعض الكـوارث الطبيعيـة كالأمطـار الغزيـرة وكثـرة الأحـوال والسـيول التـي حالـت بيـنهم وبـين الاسـتمرار بالاتجـاه نحـو بـلاد الشـام ليعـود الجـيش إلـى الـديار المصـرية فـي 10 جمـادى الأول سـنة 700هـ/1300م[36]. إن هـذه العزلـة السياسـية التـي استشـعرها أهـل الشـام بسـبب تخـاذل سـلاطين المماليـك أمـام رد الاعتـداءات المغوليـة، والتـي أحـدثت حالـة مـن الفوضـى والفـراغ السياسـي والإداري لـبلاد الشـام، وجعلهـم هـدفاً سـهلاً أمـام تحركـات المغـول، الأمـر الـذي دفـع أمـراء الشـام وعلماءهـا، وفـي مقـدمتهم ابـن تيميـة إلـى اسـتنهاض همـة المماليـك للـدفاع عـن ديـار المسـلمين فـي الشـام، حيـث غـادر بـلاد الشـام إلـى الـديار المصـرية، وراح يتحـدث مـع المماليـك ويحـثهم علـى تجهيـز جـيش لمقاومـة الاحـتلال المغـولي، وأعلـن أن كـان المماليـك قـد أعرضـوا عـن الشـام وحمايتـه، وأثـار لـديهم النزعـة الدينيـة وقوميـة الإسـلام، وأشـار إلـى أن المماليـك وان لـم يكونـوا حكامـاً لـبلاد الشـام، وطلـب أهـل الشـام مـنهم، المناصـرة والـدعم، فكيـف وهـم حكامـه وسـلاطينه[37]، وظهـرت معانـاة ابـن تيميـة الكبيـرة ببذلـه جهـوداً مضـنية فـي سـبيل إعـادة الاسـتقرار السياسـي والاجتمـاعي لـبلاد الشـام، تحـت قيـادة وزعامـة الدولـة المملوكيـة. التـي نظـر إليهـا علـى أنهـا الممثـل الشـرعي للعـالم الإسـلامي، وهـي صاحبة الحق في سيادة ورعاية المصالح الإسلامية.

ب- الحالة الاجتماعية والاقتصادية:-

شكلت الهجمات المغولية واحتلالها لبلاد الشام أعباء ثقيلة، عجز المجتمع الشامي عن تحملها، ونتيجة للاضطرابات السياسية، وعدم استقرار البلاد، وإلى جانب الضغوطات المتكررة التي مارسها الجيش المغولي، انتشرت حالة الخوف والذعر في صفوف المواطنين، حوّل حياة الناس إلى بؤس ونكد، وانهارت عزائم الناس وإرادتهم، وكان لشدة هذه الأزمات وقساوتها دورٌ في هجرة أهل الشام نحو، ومدن بيت المقدس وغزة، والسواحل السورية، وكذلك الديار المصرية، فعندما فكانت الهجرة الأولى 699هـ/1299م في شهر ربيع الأول، وذلك عندما هزم المغول جيش المماليك في مجمَّع المروج، وصحيح أن الطابع الغالب على هذه الهجرة هو هجرة الأمراء والعلماء والقضاة والولاة، إلا أن ذلك لم يمنع عامة الناس من المبادرة إلى الهجرة أيضاً[38].

وعندما قرر السلطان المغولي غازان دخول مدينة دمشق هرب أهلها، وانتشروا على رؤوس الجبال، وتوجه الكثير منهم إلى مصر، فاضطر أعيان دمشق إلى عقد اجتماع طارئ للحيلولة دون هجرة الناس، واجتمع ابن تيمية وبعض أعيان دمشق بالسلطان محمود غازان، ودارت بينهم محادثات مطوّلة نجح من خلالها ابن تيمية في انتزاع فرمانا[39] يعطي الآمان لأهل دمشق، حيث اطمأنت الناس وسكنت أحوالهم[40]، وكان لتأخر الجيش المصري عن اللحاق بركب الشام سببٌ أوهن من عزائم، الناس، وطفق الناس يهاجرون إلى مصر والحصون المنيعة في الكرك وغيرها[41].

لم يكن واقع بلاد الشام الاقتصادي بأقل سوءاً وتدهوراً من واقعهم الاجتماعي، إذ تعرضت مصالح الناس المادية إلى أضرار كبيرة. واتخذ المغول سياسة النهب والسلب والأسر، إذ قاموا بنهب غوطة دمشق وضواحيها في 10/ربيع الآخر سنة 699هـ/1299م، على إثر الهجوم الذي تعرضت له بلاد الشام من قبل المغول بقيادة غازان[42]، وأعقبها كارثة الصالحية في 15/ ربيع الآخر سنة 699هـ/1299م حيث نهبها المغول، وقاموا بتخريب مساكنها ومساجدها ومدارسها، فنهبت مساجد الأسدية وخاتون، ودار الحديث الأشرفية، وأحرقوا جامع النوبة بالعقيبة (على يد الأرمن الذين ناصروا المغول)، [43] واخذ المغول ما في مسجد الصالحية من الأثاث والبسط والقناديل[44].

وانتشر الغلاء الفاحش في بلاد الشام خصوصاً في مدينة دمشق، إلى جانب عدم الاستقرار وشيوع حالة الفوضى والفساد، وفرض المغول على أهل دمشق ضرائب مالية ضخمة أدت إلى إرهاقهم مادياً واقتصادياً، فقد ورد إلينا ما نصه في تاريخ سلاطين

المماليك، بأن قرر المغول على سكان بلاد الشام وجبل الصالحية أضعافاً مضاعفة من الأموال على النحو الآتي :-

- سوق الخواصين مائة ألف وثلاثين ألف درهم.
- سوق الرماحين مائة ألف درهم.
- سوق علي مائة ألف درهم.
- قيسارية الشرب مائة ألف درهم.
- سوق النحاسين ستين ألف درهم.
- سوق الذهبيين ألف وخمسمائة دينار.
- وعلى أكابر البلد تكملة ثلثمائة ألف دينار[45]

ويؤكد المقريزي سوء الأحوال الاقتصادية بسبب ما فرضه المغول من ضرائب على المسلمين، وأشار إلى حجم الأموال الضخمة التي استولى عليها المغول عن طريق القوانين والتشريعات الصارمة التي صدرت من بلاط المغول، وقررّ أن ما حُمِل إلى غازان خان، وحده من أموال دمشق والصالحية، بلغ ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم (3,6) مليون درهم، سوى ما نهب من السلاح والدواب والثياب والغلال، وسوى ما نهبه قادة وأمراء المغول.[46] وعندما رحل غازان عن دمشق إلى إيران في الثاني عشر من جمادى الأولى سنة 699هـ/1299م، قام المغول بتكسير أبواب البيوت ونهبها، واحرقوا المدرسة النورية[47] والمدرسة العادلية[48] ودار الحديث، أما الأماكن التي لم يصل إليها الحريق فقد نهبت وخربت، حتى دخلت الحرافشة[49] إلى الأماكن المحروقة والمنهوبة ينقضون أخشابها وأبوابها، وما فيها من رخام وقماش وأثاث ويبيعونه بأبخس الأثمان.[50] ثم في مطلع عام 700هـ -1300م، وأثناء عودة السلطان محمود غازان إلى بلاد الشام غادرها في الوقت نفسه السلطان الناصر بن قلاوون إلى مصر، وقام المغول بنهب حلب وحماة وانطاكية[51] وجبل السماق[52] فنهبوا دوابها وأغنامها وأبقارها وأسروا الكثير من الرجال والصبيان من أهل تلك البلاد، بحيث باعوا الأسير والأسيرة بعشرة دراهم[53]، وعلى الرغم مما حققه المسلمون من انتصارات عسكرية على المغول في موقعه شقحب سنة 702هـ/1302م، وأدى إلى طرد المغول من بلاد الشام، ورفعت من معنويات الأهالي والجيش المملوكي[54]، إلا أنها ساهمت بتعريض سكان بلاد الشام إلى مخاطر المجاعة

والفقر الشديد، حيث تفشى بينهم الغلاء، وفقدت المواد الغذائية من الأسواق، ولعلنا نوجز مؤثرات الاحتلال المغولي على بلاد الشام بالنقاط التالية:-

أولاً:- انتشار حالتي الفوضى والاضطراب السياسي.

ثانياً:- سيادة سياسية وقانونية وإدارية مطلقة للمغول على بلاد الشام.

ثالثاً:- اللامبالاة التي أظهرها سلطان المماليك أزاء بلاد الشام، وما يتهددها من مخاطر الدمار والهلاك على يد المغول.

رابعاً:- أدى الاحتلال المغولي لبلاد الشام، إلى زعزعة الحياة الاجتماعية بهجرة سكانها، وانتشارهم في مصر والسواحل والأماكن الجبلية.

خامساً:- تفشي الغلاء في الأسعار، وفقدان المواد الغذائية الأساسية.

سادساً:- إن ما جبي أو نهب من سكان الشام على يد المغول كثير لا يمكن حصره.

ثانياً: المغول في فقه ابن تيمية فكراً وجهاداً:

على ضوء ما تقدم، كالحديث عن العوامل التي ساهمت في البناء الفكري والفقهي عند ابن تيمية تجاه المغول، فقد تبيّن لنا أن سقوط الدولة الخوارزمية 619هـ / 1222م، وسقوط دولة الخلافة العباسية 656 هـ/ 1258م، وسقوط بلاد الشام على يد هولاكو 658هـ / 1260م، وعلى يد محمود غازان699 هـ / 1299م، وما ظهر من تحالفات مغولية شيعية، وما ترتب على بلاد الشام من إضطرابات وأزمات سياسية واجتماعية واقتصادية بسبب احتلال المغول المسلمين لها، هذه الأحداث مجتمعة كانت سبباً مباشراً لتبني ابن تيمية لأفكار ومواقف دينية وسياسية مناهضة للمغول المسلمين، إضافة إلى المعتقدات وجانب احتلالهم لبلاد الشام.

وتجدر الإشارة هنا، إننا سنقوم باستعراض الجوانب الفقهية والفكرية والجوانب السياسية والعسكرية لابن تيمية كمحصلة للوصول إلى أفكاره وآرائه ومواقفه السياسية تجاه المغول.

1- آراء ابن تيمية الفقهية والفكرية في المغول:-

مما لا شك فيه أن الظروف التي عصفت ببلاد الشام والشرق الإسلامي، من اجتياحات مغولية متتالية أدت إلى إحداث أزمات نفسية وعقلية ومادية سيئة للمجتمعات الإسلامية، ظهر ذلك لدى فئات العلماء والمؤرخين والفقهاء وساسة العالم العربي

والإسلامي، وهؤلاء جميعهم تعرضوا لأذى المغول وسطوتهم، وتأثروا بها مباشرة، فمنهم من هاجر تاركاً موطنه، ومنهم من قتل، ومنهم من سبي ماله وممتلكاته، ومنهم من وقع بأسرهم وكابد مرارة الأسر، وابن تيمية واحد من هؤلاء الذين تعرضوا لمؤثرات الاجتياح المغولي لبلاد الإسلام، فقد سبق وأشرنا إلى تعرض أسرته لمخاطر المغول، حيث احتلت قريته "حران"، وهاجر مع أهله قسراً إلى بلاد الشام ليستقروا بمدينة دمشق، وهي أول الأحداث التي يواجهها ابن تيمية في مقتبل العمر مع المغول، وربما يكون هذا الحدث نقطة البداية في نشوء العداوة بينهما.

وكثرت الأحاديث وسط العامة والخاصة حول إسلام المغول، وإخلاصهم للدين الإسلامي، مثل دولة المماليك القائمة على حكم مصر وبلاد الشام، هذه الآراء وتداولها بين الناس، تطلعنا على حقيقة واضحة، وهي أن عامة المسلمين في بلاد الشام قد ساء فهمهم للمغول ومعتقداتهم، وذلك لعدم وقوفهم على قيمهم الدينية والسياسية والاجتماعية، فقد شكل هذا الرأي، الغالبية المطلقة من قطاع الشعب الشامي، أما الاتجاه الآخر منهم دعاة الهزيمة، أو من كان على صلة وثيقة بالمغول، فقد أثاروا قضية تديّن وإسلام المغول، وراحوا يتساءلون عن موقف الإسلام إزائهم، كيف نقاتل المغول وهم على ديننا؟ فلا يجيز الشرع ذلك ولا عقيدة المسلمين، وهم يهدفون من وراء ذلك إلى شق صف المسلمين والعلماء منهم خاصة، وبالتالي تثبيط همم القادة والأمراء والناس حتى لا تتسنى لهم فرصة الاستعداد النفسي والفكري والعسكري لمواجهة مخاطر المغول.

والحقيقة أن دولة المغول بعهديها الإسلامي وغير الإسلامي في نظر ابن تيمية، عبارة عن وعاء استوعب كل الحركات السياسية، والطرق الدينية المناهضة والمعارضة للإسلام الحنيف، بل منهم الخارجون صراحة عن الأصول العقائدية للإسلام. بالإضافة إلى قناعات المغول القديمة والراسخة حول تشريعات "اليساق"[55] التي انبثقت عن مؤتمر (الكورليات) [56] عام 603هـ / 1206م، والذي عقد بأمر وإشراف مؤسس الإمبراطورية المغولية العظمى "جنكيز خان"، ولطالما كان حكم المغول في بلاد فارس والعراق، فلا غرابة أن نجد معظم الفرق والطوائف الدينية للخلافة الإسلامية، تسارع إلى الانضمام لركب المغول لتحقيق أهدافها. وإذا عرفنا أن بلاد فارس والعراق، وبعض بلاد ما وراء النهر، هي الأرض الخصبة لدعاة تلك المذاهب والطوائف، لأدركنا حجم التأثير العقائدي والفكري الذي تعرّض له المغول على يد علمائها وفلاسفتها في محاولة للتأثير على مسار المغول العقائدي، وتحويله إلى معتقداتهم مستغلين بذلك نفوذ المغول في المنطقة على حساب إنهيار الخلافة العباسية وضعف المسلمين بشكل عام.

فالحيرة والتردد والخوف وغياب الرؤيا الواضحة ألحقت ضرراً بمكانة علماء المسلمين في بلاد الشام، وإدعاء المغول بالإسلام، وأنهم حماته وأنصاره ودعاته، وتسلطهم وتجبرهم باحتلالهم الديار الشامية، ونهب الممتلكات وعدم الالتزام بالعهود والمواثيق، كانت سبباً وراء عجز العلماء، عن إدراك حقيقة الخطر المغولي، ووقوعهم في الحيرة والتردد حول إصدار حكم تشريعي ضد المغول وضد سياستهم المخالفة للتشريعات الإسلامية، أو أن يكون هذا الحكم لصالح المغول، فيضمنوا بذلك شرعية لسيادة البلاد الشامية.

وكان لضعف دوراً في وعجز العلماء والأعيان في بلاد الشام عن اتخاذ موقف فقهي صريح وواضح إزاء المغول دوراً في دفع الناس والعلماء والأمراء إلى اعتماد رأي ابن تيمية الفقهي والفكري بالمغول[57]، واعتبر بمثابة القانون أو التشريع الملزم للدولة وقادة الجيش وعامة الناس، ولأن نشاط ابن تيمية السياسي لم يقف عند هموم الشّام فحسب، بل تعدى الحدود إلى مصر والجزيرة وديار بكر وغيرها من البلدان. وكان في كل موقع يأتي عليه يبث قناعاته بعدوانية المغول، وخروجهم عن ملة الإسلام، ويجيب على تساؤلات الناس حول حقيقة انتساب المغول للعقيدة الإسلامية، وهل ينبغي على المسلمين قتالهم؟ وقد حفلت فتاوية بمادة زاخرة حول هذا الموضوع. ولكي نصل إلى نظرة ابن تيمية الفقهية والفكرية في المغول وعقيدتهم، سنستعرض آراءه من خلال المصادر المعنية بذلك:

1- حاول ابن تيمية التأكيد من خلال فتاويه على أن أية طائفة من طوائف الإسلام امتنعت عن الالتزام بالعقيدة والشريعة الإسلامية الظاهرة والمتواترة، سواء صدر ذلك من المغول أو غيرهم، فإن الإسلام يوجب قتالهم حتى يظهروا التزاماً صريحاً بشرائع الدين. [58] وأن هؤلاء المغول عند العلماء المحققين ليسوا بمنزلة من بغى على طاعة الإمام أو خارجين عنه، بل هم خارجون عن الإسلام، وهم بمنزلة مانعي الزكاة[59].

2- توصل إلى حقيقة مفادها أن المغول يعلنون انتماءهم للإسلام ويوجبون طاعته، والعمل به ويؤمنون بشرائعه، إلا أنهم لم يتخذوا هذه القناعات والموجبات منطلقاً لمحاربة من بغى على الإسلام والمسلمين، لا سعى إلى تركه، بل الذي ترسّخ عند المغول من المعتقدات أن من قاتل على سنن وشرائع المغول القديمة الموروثة، أحق بالتعظيم وأولى بالتقدير، وان كان لا يقر بالإسلام ديناً وعقيدة، وكل من خرج عن قواعد التشريعات المغولية الأولى "اليساق" قتلوه، وان كان

ممـن يعظـم الإسـلام ويـؤمن بـه[60]، وبـذلك يسـعى المغـول إلـى ترسـيخ اليسـاق فـي الوسـط الرسـمي والشـعبي، وجعلـوا ذلـك معيـار الـولاء والطاعـة والانتمـاء للدولـة الايلخانية في بلاد فارس والعراق.

3- لاحـظ ابـن تيميـة، ومـن خـلال العديـد مـن الجـولات التـي قـام بهـا علـى معسـكرات المغـول، أن جمهـورهم لا يقيمـون الصـلاة ولا يـدعون لهـا، ولـم يـر فـي معسـكرهم مؤذنـاً ولا إمامـاً، ووجـد فـي معسـكرهم شـرار النـاس، فهـم أمّـا زنـديق منـافق لا يعتقـدون بـدين الإسـلام، وأمـا مـن أهـل البـدع كالرافضـة والجهميـة[61]والاتحاديـة ونحـوهم[62]، هـذه الظـاهرة جعلهـا ابـن تيميـة حجـة وبرهانـاً علـى إثبـات صـحة فتاويـه الداعية إلى استنكار ما يطرحه المغول، من شعارات مؤيدة للإسلام ومناصرة له.

4- اعتقـاد المغـول فـي الـزعيم الأعظـم جنكيـز خـان وصـل إلـى حـد وضـعه فـي مصـاف الرسـل والأنبيـاء، وجعلـوه معصـوماً عـن الزلـل والأخطـاء، فهـم الـذين آمنـوا بـه وصـدقوه وبـايعوه، علـى اعتبـار أنـه ابـن اللـه، فيـدعون أن الشـمس حبّلـت أمـه، وأنهـا كانـت فـي خيمـة فنزلـت الشـمس مـن كـوة الخيمـة، فـدخلت فـي فرجهـا حتـى حبلـت، وكـان ذلـك مبـرراً لابـن تيميـة لإثبـات أن جنكيـز خـان إن صـحت هـذه الروايـة يكـون ولـد زنـا، وأن أمـه زنـت بـه فكتمـت زناهـا، وادعـت ذلـك حتـى تـدفع عـن نفسـها عـار الزنا[63].

5- كـان لاطـلاع ابـن تيميـة علـى مراسـلات السـلطان محمـود غـازان، التـي بعثهـا إلـى سـلطان المماليـك الناصـر محمـد بـن قـلاوون، دوره فـي اسـتجلاء حقيقـة المغـول الذين ينتسبون إلى الإسلام، فجاء في إحدى الرسائل:

" لـيعلم أمـراء التومـان [*]، والألـوف والمائـة وعمـوم عسـاكرنا المنصـورة مـن المغـول والتتـر والأرمـن والكـرج وغيـرهم، ممـن هـو داخـل تحـت ربقـة طاعتنـا، أن اللـه نـور قلوبنـا بنـور الإسـلام وهـدانا إلـى ملـة النبـي عليـه السـلام... ولمّـا سـمعنا أن حكـام مصـر والشـام خـارجون عـن طريـق الـدين غيـر متمسـكين بأحكـام الإسـلام وهـم ناقضـون لعهـودهم... لـيس لـديهم وفـاء ولا ذمـام، ولا لأمـورهم التئـام ولا انتظـام. وكـان أحـدهم إذا تـولى سـعى فـي الأرض ليفسـد فيهـا ويهلـك الحـرث والنسـل، واللـه لا يحـب الفسـاد. وشـاع مـن شـعارهم الحيـث علـى الرعيـة ومـد الأيـدي العاديـة إلـى حـريمهم وأمـوالهم، فكـان أن توجهنـا لتلـك البـلاد، لإزالـة هـذا العـدوان وإماطـة هـذا العصيان"[64].

لذلك بين ابن تيمية حالات التناقض الفكري والعقائدي والأخلاقي لدى سلاطين المغول ودولتهم. ففي الوقت الذي أظهروا فيه تديناً وإخلاصاً للإسلام، جردوا الجيوش وراء الجيوش لمحاربة المسلمين واضطهادهم واحتلال أرضهم، كما حدث سنة 699هـ/ 1299م حيث أصيب أهل الشام، وخاصة دمشق بنكبة لم يعهدها أهل البلاد حتى في عهود ما قبل الإسلام. فقد أرهقت هذه الحملة كاهل المساكين وتسببت في إيقاع أزمات اقتصادية واجتماعية غاية في الصعوبة والتعقيد، مما دفع الناس إلى الهجرة طلباً للأمان، وارتفعت الأسعار، وفقدت الضوابط، واختلت القوانين[65]. وإذا كان المغول بقيادة زعيمهم محمود غازان، يتطلعون إلى تحرير المسلمين في بلاد الشام، من اضطهاد حكامها المماليك وجورهم، فلماذا عرّضوا مدن حماة وحلب وحمص ودمشق للنهب والسلب والأذى؟ وأجبروا المسلمين وعلى رأسهم ابن تيمية، على الذهاب إلى قائد المغول من أجل أخذ الأمان منه لأهل دمشق وغيرها من المدن الشامية؟ وحتى رغم حصول المسلمين على أمان رسمي من جانب المغول، فلماذا يتجاهلون هذه العهود والمواثيق ولا يضعونها موضع التقدير والاحترام؟

6- يقول ابن تيمية في معرض حديثه عن جهل المغول، وحتى أميتهم في نصوص الشريعة الإسلامية، ما نصه:-

"فما من نفاق وزندقة وإلحاد، إلا وهي داخلة في أتباع التتار لأنهم من أجهل الخلق، وأقلهم معرفة بالدين، وأبعدهم عن إتباعه، وأعظم الخلق إتباعا للظن وما تهوى الأنفس. وقد قسموا الناس أربعة أقسام: يال، وباع، وداشمند، وطاط، اي صديقهم وعدوهم والعالم والعاصي، فمن دخل في طاعتهم الجاهلية وسنتهم الكفريّة كان صديقهم، ومن خالفهم كان عدوهم ولو كان من أنبياء الله... ويجعلون القرامطة الملاحدة الباطنية الزنادقة المنافقين، كالطوسي، وأمثاله، هم الحكام على جميع من انتسب إلى علم ودين من المسلمين واليهود والنصارى، وكذلك وزيرهم السفيه الملقب بالرشيد "رشيد الدين الهمذاني"[66].

أوضحنا سابقاً دور علماء وفلاسفة الشيعة والإسماعيلية، في إقامتهم أحلافاً قوية مع المغول، يستشف منها ومن خلال الوقائع التاريخية المتكررة أن لدى هؤلاء نوايا مبيتة، يسعون إلى تحقيقها عن طريق المغول، فعملوا على ركوب موجة المغول وأعلنوا لهم البيعة والولاء، فأطاحوا بالخلافة الإسلامية (العباسية)، وعملوا على القضاء على دولة المماليك في مصر وبلاد الشام[67]،

فوجود مثل هذه العناصر المناهضة للنظام السياسي الإسلامي سواء أكان في عهد هولاكو أم في عهد السلطان محمود غازان وولده محمد خدا بنده، فهم السبب وراء اتخاذ ابن تيمية موقفاً متشدداً من المغول، سواء من الجانب السياسي أو من الجانب الفكري، وشن هجوما عنيفا على وزراء الدولة المغولية، وأعلن إلحادهم ومروقهم عن الإسلام كنصير الدين الطوسي، ومؤيد الدين أحمد بن العلقمي، ورشيد الدين الهمذاني، وشقيقه سعد الدين الهمذاني وزراء السلطان محمود غازان ومحمد خدا بنده الذين كانوا برأي ابن تيمية وراء كل كارثة ومصيبة ألمت بدولة المسلمين، في خوارزم والعراق وبلاد الشام على يد المغول[68].

تحوّل المغول من الوثنية إلى الإسلام، يعد انتصاراً لدولة المسلمين ومكسباً من مكتسبات حضارتهم العربية الإسلامية، إلا أن إسلامهم لم يكن بطموح العالم الإسلامي في الشرق والغرب، فقد قرر المغول في إيران والعراق والشام، منع المسلمين أن يذكروا على المنابر محاسن الخلفاء الراشدين ومناقبهم ومواقفهم البطولية في تاريخ الإسلام، باستثناء علي بن أبي طالب. كما وأظهروا الدعوة إلى المذهب الشيعي، وأن لا خلافة لأبي بكر وعمر بن الخطاب، و ساهم بعض عناصر الشيعة في دخول المغول قبل إسلامهم إلى أرض المشرق بخراسان والعراق والشام، وكانوا من أعظم الناس معاونة لهم على أخذهم بلاد الإسلام وقتل المسلمين وسبي حريمهم، يقول ابن تيمية: "وقضية ابن العلقمي وأمثاله مع الخليفة (المستعصم بالله) مشهورة... وأنهم عاونوا النصارى على المسلمين على أخذ البلاد لما جاء التتار"[69]. وهذا يؤكد أن حادثتي سقوط بغداد، وقتل خليفة المسلمين على يد المغول، تركتا آثرًا نفسيا وفكرياً عند ابن تيمية، وهما من الحوادث التي بنت الإطار العام لفكره وفقهه تجاه المغول المسلمين، ومن آزرهم على البلاد الإسلامية.

وعلى ضوء تلك المعطيات والتصورات التي عاينها ابن تيمية في فتاويه، فقد أصدر حكماً ربما يكون قاسياً تجاه المغول، إذ جعلهم كافرين خارجين عن الملة المحمدية، ولا تربطهم أدنى علاقة بالإسلام كعقيدة وخلق وتشريع، وجعلهم أمة مارقة على الدين، فأصدر عديداً من الأحكام بقتالهم، وأجاز ذلك على ضوء مسيرتهم وسلوكهم مع العالم الإسلامي في الشرق وبلاد الشام، وقد تجلى ذلك عندما كثرت أحاديث الناس في بلاد الشام يوم استولى عليها غازان سنة 669هـ/1299م، في كيفية قتال هؤلاء المغول ومن أي قبيل هو؟ فإنهم يظهرون

الإسلام وليسوا بغاة على الأمام، ولم يكونوا في طاعته يوما ثم خانوه، فأعلن ابن تيمية أكثر من مرة قتال المغول، ومن جملة ما قال:

"هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية، وهؤلاء التتر يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة وقال للناس اذا رأيتموني من ذلك الجانب (اي مع التتار) وعلى رأسي مصحف فأقتلوني، فتشجع في قتال التتار"[70].

2. موقف ابن تيمية السياسي والعسكري من المغول

لم تقف جهود ابن تيمية إزاء ظاهرة المغول، التي طفقت تقلق واقع العالم الإسلامي، في القرنين السابع والثامن الهجريين عند حدود الفتاوي الشرعية، وصياغة الأفكار الدينية الراسخة حولهم، بل تجاوزت تلك الأزمة قناعاته الفكرية والعقائدية النظرية بالمغول، الى المضمارين السياسي والعسكري. فبدأ ناشطًا مهتما في إزاحة عوارض الاحتلال المغولي لبلاد الشام، بالحوار السياسي والدبلوماسي تارة، وبالسلاح والتحريض على قتالهم تارة أخرى، وقد تجلّى ذلك فيما يلي:

أ- انصبت محاولات ابن تيمية في تفادي الخطر المغولي، ووضع حد للتوسع الإيلخاني في بلاد الشام، على الطرق السياسية السلمية. وراح يحاور زعماءهم وقادتهم للوصول إلى مخرج مشرّف، تسلم منه مصالح المسلمين من الأذى، والفساد المغوليين اللذين لا طاقة لهم بتحملهما. وابن تيمية ممن أدرك الفجوة الكبيرة بين العدة العسكرية للمغول، ومعنويات الجند العالية، وحالة الانضباط والجاهزية، وبين أهل الشام الذين لا يملكون القدرة الكافية على تنظيم جيش قوي، يوازي قدرة الجيش المغولي، الذي بلغ تعداده حوالي مائة ألف محارب، كلهم من الفرسان، بينما جيش المسلمين في الشام لا يتجاوز العشرين ألفا[71]. في الوقت الذي بدت فيه معنويات جند الشام واهية ضعيفة، لاسيما عند سماعهم بمقدم الجيش المغولي نحوهم، وهو الجيش المهاب، الذي ما زالت آثاره شاخصة للعيان، ومؤثراته في نفوس المسلمين لا زالت ظاهرة فهو الجيش الذي ألغى وجود الدولة الخوارزمية القوية، وقضى على دولة الخلافة الإسلامية في بغداد، وأحرق القرى والمدن، ودمر مكتسبات تلك الدول الحضارية. وأمام هذه المعادلة غير المتكافئة، نهض ابن تيمية

يحاور المغول وسلطانهم سلمًا ووداً للوصول إلى رد الاعتداء المغولي عن أهل الشام.

فبعد هزيمة القوات المملوكية بزعامة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، أمام الجيش المغولي، بقيادة السلطان محمود غازان يوم الأربعاء 27/ربيع الأول سنة 699هـ/1299م، عند وادي الخزندار، حيث مني الجيش المملوكي بخسارة فادحة، اضطر السلطان المملوكي للهروب نحو مصر، بعدما حل القتل في الكثير من القادة والجند أثناء المعركة، وتبعه هربًا رجالات الجيش جميعهم، ومنهم من التجأ إلى دمشق[72].

كانت هذه الهزيمة المنكرة للجيش المملوكي أمام زحف المغول، كفيلة بنشر الرعب والفزع بين سكان أهل الشام، فخاف الناس على أنفسهم، وانهارت معنوياتهم، لاسيما عندما باشر أعيان دمشق الهجرة الى مصر، كالقاضي أمام الدين الشافعي،[73]وقاضي المالكية الزواوي[74]، وتاج الدين الشيرازي[75]، وعلم الدين الصوابي والي الشام، وجمال الدين النحاس[76] وإلى مدينة دمشق، والمحتسب، وغيرهم من التجار والعوام، ليبقى البلد شاغراً بلا حاكم، سوى نائب القلعة[77]. وبعد الموقعة مباشرة أعد غازان جيشه للزحف نحو دمشق لاحتلالها، من هنا بدأت تحركات ابن تيمية تطفو على السطح للحيلولة دون تعرض دمشق للاحتلال المغولي المباشر، فاجتمع بأعيان دمشق، واتفق معهم على المسير لمقابلة السلطان محمود غازان، لأخذ الأمان منه لأهل دمشق، فتوجه الوفد الدمشقي يوم الاثنين (3/ربيع الآخر/699هـ/1299م) واجتمعوا بالسلطان عند النبك[78]، ويذكر المؤرخ ابن كثير إن ابن تيمية تولى مخاطبة غازان فكلمه كلاماً قوياً فيه مصلحة عظيمة عادت على المسلمين. إذ أخذ الأمان بفرمان رسمي قرأ على أهل دمشق يوم السبت ثامن ربيع الآخر بمقصورة الخطابة[79].

إلا أن خطر المغول ظل يهدد دمشق وسكانها، وطموح غازان باحتلالها لم تمنعه وثيقة الأمان التي أعطاها للمسلمين بوساطة ابن تيمية، ففي يوم الاثنين 10/ربيع الآخر699 هـ/1299م، نزل غازان دمشق، وعاثت عساكره في الغوطة[80]وظاهر المدينة حتى وصلت إلى الكرك والقدس[81]. وفي يوم الجمعة41/ربيع الآخر699هـ /1299م خطب لغازان على منابر دمشق بألقابه، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وتم تعيين الأمير قبجق[82] أميرًا على الشام كلها.

وبعد نهب المغول جبل الصالحية بتاريخ 15ربيع الآخر سنة 699هـ/ 1299م نهبت الدور والمساجد والمدارس والمحلات، ونهض ابن تيمية من جديد محاوراً سياسياً نشطاً لوقف هذه الاعتداءات، ووضع حد لها، فخرج في جماعة من أصحابه لملاقاة شيخ الشيوخ نظام الدين المعين من قبل غازان، وشكوا إليه ما حل بالصالحية وأهلها، وطالبوه بوقف اعتداءات المغول عليهم، ثم خرج معهم للوقوف على حقيقة الأمر، فهرب المغول عند رؤيته، والتجأ أهل الصالحية إلى دمشق بأسوأ حال[83]، وبعد أن تعرضت داريا[84] والمزة[85] لنهب المغول، وجد ابن تيمية نفسه مضطراً لمقابلة سلطانهم محمود غازان، وخرج يوم الخميس 20/ربيع الآخر إلى تل راهط [86]ليشكو له ما جرى من المغول بعد الأمان الذي أعطاه للمسلمين، فحال بينه وبين الاجتماع به الوزيران رشيد الدين الهمذاني وشقيقه سعد الدين الهمذاني، حتى لا يتمكن ابن تيمية من إيصال رسالته إلى غازان. [87] فربما يستمع إليه ويؤخذ بأقواله فيهدأ الأمر، وتنفرج الحال على المسلمين. وبذلك أراد الوزيران حجب الحقائق عن السلطان، وهما على الأرجح راغبان في بقاء الضائقة على المسلمين في ديار الشام.

وعندما نهب المغول الأغوار (غور الأردن) ودمشق وغزة، وقتلوا كثيراً من أهلها، عادوا إلى دمشق ومعهم الأسرى المسلمون بأعداد كثيرة، نهض ابن تيمية غيرة على مصالح المسلمين، وذهب إلى الأمير قبجق واجتمع به وظل يحاوره حتى استخلص جميع الأسرى وعادوا إلى بلادهم[88].

ب- أخذت قناعات ابن تيمية تتحول تدريجيا بسبب ضغط الأزمات المادية والمعنوية، التي تعرض لها سكان الشام على يد المغول. فأيقن ان سياسة الحوار السلمي والخطاب الدبلوماسي، لن توقف أو تمنع المغول من الاستمرار بعدوانيتهم على بلاد الشام. وأدرك أن ذلك لا يجدي نفعاً، فإن نجح في تحقيق بعض المكاسب فهي مكاسب ضئيلة ومؤقتة، مقارنة مع موقف المغول، الذين قرروا ضم بلاد الشام بأكملها تحت سيطرتهم. ومع وضوح رؤيا ابن تيمية لأهداف المغول راح يتحول من الحوار السياسي إلى الحوار العسكري، فباشر بالدعوة لقتال المغول، وحشد الهمم وشحذها، وراح يدعو للتضحية والجهاد المقدس، مؤمناً كل الإيمان أن حل أزمة أهل الشام ليس لها سبيل إلا حمل السلاح، وتنظيم الجهود وتوحيدها للدفاع عن مصالح المسلمين. فطلب من أرجواش[89] نائب قلعة دمشق بعدم تسليم القلعة إلى الأمير قبجق المتواطئ مع المغول، وبعث إليه يقول: "لو لم يبق فيها إلا حجر

واحد فلا تسلمهم ذلك أن استطعت"[90]، لأن القلعة باعتقاد ابن تيمية، هي الملاذ الوحيد الذي تبقى لحماية المسلمين، وبوجودها تتعزز فرصتا الدفاع والقتال ضد المغول، ثم نجح ابن تيمية في إصدار أمر من نائب القلعة يطلب من المسلمين حفظ الأسوار، وإخراج ما عندهم من السلاح، مانعاً الناس من المبيت في بيوتهم، آمراً بشنق من يبيت في داره، فاجتمع الناس على الأسوار، و ابن تيمية يدور حولها كل ليلة، يحرض الناس على الصبر والقتال، ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط[91]، وحتى يعيد للمسلمين ثقتهم بأنفسهم وبدولتهم (المملوكية)، ويقوي من عزائمهم ومعنوياتهم، خرج ابن تيمية والأمير آقوش الافرم[92] نائب السلطنة بدمشق لغزو الدروز[93] في جبل لبنان، الذين ألحقوا الأذى بالمسلمين، وناصروا المغول عليهم، فنهبوهم وأخذوا أسلحتهم وخيولهم وقتلوا كثيراً منهم، وفرض على الدروز بموجبها مبالغ مالية تصل إلى مائة ألف درهم، وكثير من السلاح والقماش[94]، ثم أعيدت الخطبة في دمشق باسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون، بعدما كانت باسم السلطان محمود غازان[95]. وفي مستهل صفر سنة 700هـ/1300م، وردت الأخبار أن المغول عازمون على دخول الشام ومصر، فأدى ذلك إلى انهيار عزائم ومعنويات الناس، وحل بهم الخوف والذعر. وقد وصف ابن كثير حالة المسلمين بقوله: "وطاشت عقولهم وألبابهم وشرع الناس في الهرب إلى بلاد مصر والكرك والشوبك والحصون المنيعة والسواحل"[96]. وحاول ابن تيمية احتواء هذه الأزمة من خلال مخاطبته للناس بالثبات والصبر وتحريضهم على قتال المغول، وهو يتلو عليهم الآيات والأحاديث النبوية الواردة في الجهاد ونهاهم عن الإسراع بالفرار، ورغبهم بإنفاق الأموال في الدفاع عن المسلمين وبلادهم، وأوجب جهاد المغول حتما في هذه الكرّة حتى نودي في البلاد ألا يسافر أحد إلا بمرسوم[97]. فتوقف الناس عن السير وسكت جأشهم[98]. وهي محاولة ناجحة من قبل ابن تيمية، حيث وضع حداً لظاهرة الهروب والهجرة الجماعية التي بدأت تأخذ طريقها، باتجاه مصر والبلدان الأخرى.

ج- كان ابن تيمية يهدف إلى تحقيق وحدة سياسية قوية لبلاد الشام ومصر، فقد دفعه إحساسه القومي بهذه المسؤولية إلى مطالبة المماليك ونوابهم وأمرائهم العمل على سلامة الأراضي التابعة للسيادة المملوكية في الشام ومصر، هذه المشاعر بدأت حينما ظهر تراجع سلطان المماليك عن حماية مصالح المسلمين في بلاد الشام، التي داهمتها غارات المغول، لاسيما بعد ما تعرض له جيش السلطان المملوكي من هزيمة منكرة، على يد المغول في موقعة الخازندار في 18 ربيع الأول سنة 699هـ/1299م. ونتيجة هذا اللقاء ألحق فتورا غريبا

بسلطان مصر والشام تجاه المدن الشامية المهددة بالاجتياح المغولي، ونلاحظ أن محمود غازان عندما قرر مطلع سنة 700هـ/1300م العودة إلى بلاد الشام، قرر السلطان محمد بن قلاوون العودة إلى مصر، وهو يدرك الحالة السيئة التي وصل إليها المسلمون في مدن الشام، ومدركاً أيضاً زحف المغول إليها. لذلك جاءت ردة فعل أهل الشام عنيفة تجاه الجيش المملوكي، حيث انطلقت الألسن بالشام ومصر في شتم أهل الدولة، واستخف العامة بالجند، فراحوا يقدحون بهم وبسلطانهم، ويتهمونهم بالتخاذل والهروب[99].

حاول السلطان محمد بن قلاوون تخفيف حدة التوتر والعداوة بين الناس ودولته، فأرسل جيشاً وصل إلى غزة، بينما عبرت جموع المغول الفرات ووصلوا حلب، ووقفت أمامهم الجيوش الشامية، وتعذر وصول جيش السلطان لمساعدة أهل الشام بسبب الأمطار الغزيرة، وانقطاع الطرق، وفقد الأعلاف، واضطر على أثرها الجيش المملوكي العودة إلى القاهرة في 10 جمادى الأول سنة 700هـ/1300م[100]، بينما الخطر المغولي لا يزال يداهم الشام، واضطراب الحالة النفسية عند المسلمين من خوف وذعر آخذةً مأخذها وذلك عندما تأخرت مساعدات المماليك في نصرتهم، الأمر الذي دفع نائب القلعة والأمراء والعلماء والعامة إلى إرسال ابن تيمية إلى القاهرة، لحث السلطان على الاستعداد والمجيء لملاقاة المغول على أرض الشام، ولما اجتمع بهم ابن تيمية قال لهم: "إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقمنا له سلطاناً يحوطه ويحميه ويستغله في زمن الأمن، ولو قدر أنكم لستم حكام الشام ولا ملوكه، واستنصركم أهله وجب عليكم النصر، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه وهم رعاياكم وأنتم مسؤولون عنهم"؟

ولم يزل ابن تيمية يحدّث سلاطين المماليك بحقوق أهل الشام عليهم حتى جردت العساكر إلى الشام[101]، وقد رضي أهل الشام بقرارات السلطان المملوكي، رغم أنها مجحفة بحقهم مقابل وحدة البلدين، وحماية مصالحهما أمام المطامع المغولية. إذ اتخذ السلطان قراراً باستخراج الأموال من الشام، وهم ما هم عليه من الفاقة والجوع والغلاء والخوف. فأمر باستخراج أجرة الأملاك والأوقاف، وأخذ ذلك من سائر الناس في المدينة وضواحيها، وطلب من الفلاحين غلال سنة 698هـ/1298م، وأخذ من الأغنياء ثلث أموالهم، فنزلت بالناس الشدائد[102]، إلا أن قناعة ابن تيمية بدولة المماليك لا تتوقف فقط عند حدود مصالح الشام فحسب بل كان ينظر إليها وإلى سلطانها إزاء الشام وأهلها. وقرّر في فتاويه، أن الطائفة بالشام ومصر ونحوهما هم في هذا الوقت المقاتلون عن دين الإسلام، وهم أحق الناس دخولاً في

الطائفة المنصورة، التي ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام بقوله: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة"[103]. ويستطرد مدللاً على أحقية المماليك في تزعم شؤون العالم الإسلامي وأحقيتهم بالطاعة والولاء بقوله:

"ومن يتدبر أحوال العالم في هذا الوقت، يعلم أن هذه الطائفة هي أقوم الطوائف بدين الإسلام، علماً وعملاً وجهاداً عن شرق الأرض وغربها، وهم الذين يقاتلون أهل الشوكة من المشركين وأهل الكتاب، ومغازيهم مع النصارى والمشركين من الترك (المغول) ومع الزنادقة المنافقين كالإسماعيلية ونحوهم من القرامطة[104] ... والعز الذي للمسلمين بمشارق الأرض ومغاربها هو بعزهم، ولهذا لمّا هزموا سنة 699هـ/1299م دخل على أهل الشام من الذل والمصيبة ما لا يعلمه إلا الله"[105].

ثم يقول: "إن هذه العصابة (يقصد دولة المماليك) التي بالشام ومصر، هم كتيبة الإسلام، وعزهم عن الإسلام، فلو استولى عليهم التتار لم يبق للإسلام عزة"[106].

وهذه دعوات غاية في الصراحة والوضوح، أعلنها ابن تيمية للمسلمين لضمان ولائهم وانتمائهم وطاعتهم لدولة المماليك، صيانة وحماية لهم من الوقوع في شرك ألاعيب المغول، الذين طفقوا يعزفون على وتيرة الإسلام وحقهم في سيادة العالم الإسلامي، لاسيما إذا عرفنا حالة الجهل والأمية السائدة وسط المجتمعات الإسلامية في هذا العصر. ودعوة ابن تيمية تعد دعوة إصلاحية للمفاهيم الدينية والنظرة السياسية تجاه المغول، فبين الحقائق من خلال الواقع استناداً إلى الأصول الدينية، وكان موقفاً موفقاً في إجلاء الصورة لعامة المسلمين وخاصتهم، دفعهم إلى إعلان الطاعة والولاء لدولة المماليك، لا لتحقيق مطامع خاصة، وإنما للوصول إلى وحدة سياسية عامة لمصر والشام، يضمن من خلالها حماية مصالح المسلمين في بلاد الشام ومصر بشكل سليم. كما ووفق ابن تيمية في وضع حد لتنامي النفوذ الشيعي، الذي هيمن على مقدرات الدولة المغولية والتي بدا واضحاً منها أطماعها التوسعية في بلاد الشام ومصر، وبالتالي العمل على إلغاء أو إضعاف الدولة المملوكية، وهي الدولة الوحيدة المتبقية لأهل السنة في منطقة الشرق العربي.

بعد عودة ابن تيمية من الديار المصرية، وحصوله على موافقة السلطان محمد بن قلاوون، للقدوم إلى بلاد الشام، لملاقاة المغول، وجدنا ابن تيمية يكثف جهوده لتحقيق بناء الوحدة السياسية والعسكرية العامة للمسلمين فبدأ يعمل على تحريض الناس على الوحدة، ورص الصفوف، والصبر، ونجح في إبرام اتفاق بين أمراء الشام

عامةً وأمراء دمشق خاصة على مواجهة العدوان المغولي، فكان من أمراء العرب الأمير مهنا[107] (أمير العرب) الذي أجابهم على السمع والطاعة لمواجهة المغول[108]، وتحالف الجميع على حماية البلاد ورد العدوان، وشجعوا أنفسهم ونادوا في البلاد بعدم الرحيل والسفر، وجلس القضاة وتعاهدوا على ملاقاة العدو[109]. ثم عمل ابن تيمية على توسيع نطاق التحالف، فتوجه إلى معسكرات حماة، وأعلمهم بما اتفق عليه الأمراء بدمشق وتوافقوا على ذلك[110]. وكان من نتائج هذه التحركات من جانب ابن تيمية، الوصول إلى بناء كتلة إسلامية قوية لمواجهة الخطر المغولي، وكان اللقاء في شقحب[111] حيث تكاملت أعداد المسلمين، الذين جاءوا من مصر بقيادة السلطان الناصر قلاوون، وكل الأمراء العرب في بلاد الشام، وفي الثاني من رمضان سنة 702هـ/1302م تلاقى الجيشان في ساحة شقحب، وأفتى ابن تيمية بالإفطار مدة قتالهم، وافطر هو أيضا. وكان يدور على الأجناد والأمراء ويقرأ عليهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الحاثة على الإفطار والقتال والصبر. وثبت سلطان المسلمين ثباتاً عظيماً، وأمر بجواده فقيِّد حتى لا يهرب وبايع الله تعالى في ذلك. وكان أهل الشام قد ندبوا ابن تيمية للمسير إلى السلطان ليستحثه على المسير إلى دمشق، فجاءا معاً فسأله السلطان أن يقف معه في معركة القتال؟ فقال له الشيخ: "السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه ونحن من جيش الشام لا نقف إلا معها"، وحرضه على القتال، وبشّره بالنصر وجعل يحلف بالله أنكم منصورون عليهم هذه المرة[112]. وخاض ابن تيمية معترك الحرب وكان بارعاً كبراعته في ميدان العلم، وساهم كثيراً في حسم المعركة لصالح المسلمين، الذين أحرزوا نصراً كبيراً على المغول، وأدى ذلك إلى طردهم من بلاد الشام وتوطيد أركان الدولة المملوكية في المنطقة.

الخاتمة:

على ضوء ما تم عرضه من أحداث ألمت ببلاد الشام، في أواخر القرن السابع الهجري، على يد المغول المسلمين بقيادة زعيمهم محمود غازان، والمواقف التي أبانها العلامة المجاهد شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية لاحتواء هذه الأزمات، تجدر في هذه الدراسة أن نضع استنتاجنا حول المغول ونظرة ابن تيمية الفقهية والفكرية والسياسية تجاههم، من خلال استعراض الأحداث التاريخية التي مرت بها منطقة الشام قبيل وأثناء الاجتياح المغولي لها.

أولاً: كان العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري أكثر ما يحتاج إلى عالم عامل يجعل من المآسي والكوارث التي أصابت المسلمين، وسيلة لإعادة البناء وتجديد النشاط في دماء المسلمين لينهضوا من تحت الأنقاض ويعيدوا لأنفسهم الاعتبارات الحضارية والفكرية، وسط الاضطرابات التي أحدثها الاجتياح المغولي للمنطقة العربية والإسلامية. فجاء ابن تيمية ولديه من المؤهلات العلمية والسياسية وقوة الشخصية وعلاقاته الواسعة في الوسط الشعبي، والوسط الرسمي، لينهض بدور المصلح الديني والسياسي والاجتماعي، في ظرف من أكثر الظروف خطورة واضطراباً، وحقق وحدة سياسية كانت في سجل المستحيلات.

ثانياً: كان البناء أو الإطار الفكري والفقهي لابن تيمية في المغول ومعتقداتهم قائماً على أسس واعتبارات موضوعية إلى حد كبير، فلم يتسرع بإعلان حكمه وإصدار فتواه ضد المغول، بل لاحظنا عليه الهدوء والتروي، حتى تبينت له الحقائق الدامغة والبراهين الواضحة، من خلال الإصرار العنيد الذي أظهره المغول في سلبهم ونهبهم وقتلهم وتدميرهم لبلاد الشام، دون أخذهم الاعتبارات الدينية التي أوضحها الشرع الإسلامي، ودون التزامهم بالعهود والمواثيق التي أعلنوها وقطعوها على أنفسهم.

ثالثاً: برهن ابن تيمية على قدرته الفائقة في شتى الميادين، ففي الجانب الفقهي كان بارعاً ولا يدانيه أو ينافسه منافس مع كثرة العلماء في عصره. وفي الجانب السياسي، كان موفقاً أكثر من الدولة المملوكية بمؤسساتها وإمكاناتها العسكرية والمالية، في إعادة ثقة المسلمين بأنفسهم وأوطانهم، حتى دفعت بهم هذه الثقة إلى تحرير بلاد الشام من الاحتلال المغولي. وفي الجانب العسكري رأيناه جندياً متفانياً للدفاع عن بلاده وأوطان المسلمين، فلم يكتف بالدعوة إلى الجهاد وتحريض الناس على حمل السلاح وطلب الشهادة، بل وجدناه يعيش جوهر الصراع ويحيى في لب المعارك، وقد ظهر ذلك في معركة شقحب سنة 702هـ/1302م.

رابعاً: لعل صدور حكم على المغول بالكفر والشرك، والخروج عن ملة الإسلام، فيه نوع من الغلظة والتشدد من جانب ابن تيمية، إلا أن المواقف التي تعرضت لها بلاد الشام من أذى وبطش المغول وتدميرهم، تمنح ابن تيمية بعض الحق في الحكم عليهم بالكفر. فهو الذي كابد مرارة الاحتلال المغولي، وهو الذي تعرض لأذاهم، ورأى بأم عينه مذابح المسلمين في مدائن الشام، وأدرك بفهمه العميق مخططهم الهادف إلى القضاء على دولة المماليك.

"ابن تيمية والمغول"
دراسة تاريخية تحليلية في العصر المملوكي الأول 658هـ/784هـ - 1260-1382م

Ibn Taimiyya and Mongols

A historical and Analytical study in the First Mamluk Era(658- 784AH/ 1260- 1382AD)

Ahmed Jawarneh and Abed Al Mouiz Asri Bani Issa, *Faculty of Arts*
Dept. of History – Yarmouk University,Irbid, Jordan

.

Abstract

In the seventh century A.H, the Islamic East region experienced acute political tumult, social corruption and degeneration, and economic deterioration that led to the collapse of the khawarimiya state 1222 and Abbasid Caliphate 1258 as well the Levant region هـ 658/1260, the Greater Syria at the hands of Holako, the Mongolian. However, When the Mongolians entered Islam, the Mongolian leader Mahmoud Ghazan invaded the Greater Syria in. 699AH/ 1299AD, which was then along with Egypt under the Mamluk rule.

While the Arab and Islamic world trusted the Mongols when they had become Muslims, the public and official attitudes toward their loyalty and true affiliation began to change. It is worth mentioning here that Ibn Taimiyyah had a strong sense of opposition against the Mongolians by deed and example.

This study is therefore an attempt to explore Ibn Taimiyya's political and military positions toward the Mongols, and the basic principles that shaped his line of thinking, which were wholly in opposition of the Mongolian doctrines and expansion policies in the Levant region as well as Iraq in the aftermath of the collapse of the Abbasid Caliphate in Baghdad, and the Mongolian occupation of the Levant region at the hands of Mahmoud Ghazan in (699 – 702 AH . / 1299 –1302 AD)

The study will also explore the diplomatic as well as war efforts of Ibn Taimiyya to keep the Mongols off the Levant region, and realize the unity of Egypt and Levant countries in an attempt to liberate the Levant region from the Mongols.

قدم البحث للنشر في 2014/6/16 وقبل في 2014/12/11

الهوامش:

(1) الدولة الخوارزمية: هي من جملة فروع الدولة السلجوقية، وأول من نبغ منهم خوارزم شاه محمد بن أنوشتكين الذي ولي خوارزم من قبل أميرداذ متولي خراسان سنة 490هـ /1096 م. وأبوه أنوشتكين مملوك الأمير تلكاتك أحد أمراء السلاجقة، ومن ثم اتسعت أملاك الخوارزميين لتشكل الدولة الخوارزمية. للمزيد انظر: النويري، (ت 733هـ/ 1332م)، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. نهاية الأرب في فنون الأدب؛ تحقيق: نجيب فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 27، ج 217 ، ص 137 وما بعدها.

(2) غازان: محمود بن أرغون المغلي الجنكزخاني، توفي سنة – 703هـ/1303م، صاحب العراقين(العربي والعجمي) وخراسان وفارس، والجزيرة وأذربيجان والأم. انظر: الصفدي (ت 1362/764م)، الوافي بالوفيات؛ تحقيق: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م، ج 25، ص 119

(3) ورد اسم ابن تيمية في هذا السياق ليس لكونه مؤرخاً وإنما لأنه من علماء المسلمين الذين تأثروا بالاجتياح المغولي.

(4) أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت 684هـ/ 1285م)، المختصر في أخبار البشر، (بيروت، 1970)، بيروت، ح 4 ص 42- 43.

Arnold,T., the Peaching of islam (Iahor, 1979) P235; Berrtold, mongols in history, (London, 1972) p.47

(5) محمد بن قلاوون: السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان سيف الدين قلاوون الصالحي، توفي سنة 742هـ/ 1341م، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص 2195.

(6) المصدر نفسه، م 2، ج 1، ص 279.

(7) رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ، م 2، ج 1، ص 279، 280.

(8) المصدر نفسه، م 2، ج 1، ص 289.

(9) نص رسالة نصير الدين الطوسي بأمر هولاكو إلى أمير حلب.

"أما بعد، فقد نزلنا بغداد سنة ست وخمسين وستمائة فساء صباح المنذرين، فدعونا مالكها فأبى فحق عليه القول فأخذناه أخذاً وبيلاً، وقد دعوناك إلى قاعتنا فإن أتيت فروح وريحان وأن أبيت فخزي وخسران، فلا تكن طالباً حث عن حتفه بظلفه والجادع مارن أنفه بكفه فتكون من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم

يحسنون صنعاً، فما ذلك على الله بعزيز والسلام على من اتبع الهدى". انظر: رشيد الدين الهمذاني، جامع التراويح، م2، ج1، ص 296، 297.

(10) المستعصم بالله: آخر خلفاء بني العباس في العراق، وهو أبو أحمد عبد الله ابن المستنصر بالله ابن الظاهر بأمر الله ابن الناصر لدين الله، ولد سنة 609هـ/1212م وتوفي سنة 656 هـ/1258م على يد المغول: انظر: ابن كثير (ت774هـ/ 1372م)، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، بيت الأفكار الدولية، بيروت، 2004م، ج2، ص 2044م.

(11) Maulana Minhajuddin Abu Aumar Al-Juzjani (D. 1260Ad). Tabaqat-i-nasidi, A General History of Muhammadan Dynasties of Asia Frome A.H 194 (A.D.810) To A.H 658 (A.D.1260) And The Irruption Of The Infidel (Mughals Into Islam, Tr. From Original Persian Manuscript, By Major Ravert, Tow Vols. (New Delhi, 1970), Vol.li, p. 191.

(12) أبو شامة، (ت 665هـ/ 1269م)، شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل ابن إبراهيم المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين، المعروف بالذيل على الروضتين، (القاهرة)، ص 198.

(13) ألموت: تقع بالقرب من مدينة قزوين بإيران، استولى عليها الحسن بن الصباح، ولبثت مائة وإحدى وسبعين سنة أمنع حصون الإسماعيلية، سقطت في يد هولاكو سنة 654 هـ / 1256م وتقع بين سلسلتي جبال البرز. للمزيد انظر: الجويني، عطا ملك، تاريخ فاتح العالم؛ ترجمة: محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، د. م، 1985م، ج2، ص 302؛ بخيت، رجب محمود إبراهيم، تاريخ المغول وسقوط بغداد، مكتبة الإيمان، المنصورة، 2010م، ص 195.

(14) ابن خلدون (ت 808هـ/ 1406م)، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، (بيروت)، ج5، ص 149.

(15) رشيد الدين، الهمذاني، جامع التواريخ، م2، ج1، ص 294.

(16) خصباك، جعفر حسين، العراق في عهد المغول الايلخانيين، (بغداد، 1968م) ص 26-30.

(17) نظام الدين البندنجي: هو نظام الدين عبد المنعم البندنيجي، عين قاضياً للقضاة في العراق بعد سقوط الدولة العباسية على يد هولاكو سنة 656 هـ / 1258م، انظر: رشيد الدين الهمذاني ، جامع التواريخ، م 2، ج1، ص 295؛ الصلابي، علي محمد محمد، المغول التتار بين الانتشار والانكسار، الأندلس الجديدة، مصر، 2009، ص 204.

(18) رشيد الدين، م2، ج1، ص295.

(19) الدركاه: لفظ فارسي معناه: عتبة العظماء، استخدم اللفظ في البلاد العربية في فترة الدولة الإسلامية للدلالة على بلاط الملك أو السلطان. انظر: الخطيب معجم المصطلحات، ص 179.

(20) رشيد الدين، جامع التواريخ، م2، ح1، ص 295، 297.

(21) الهمذاني: رشيد الدين فضل الله بن أبي الخير الهمذاني، أسلم واتصل بغازان، توفي سنة 717هـ / 1317م انظر: الذهبي، ذيول العبر؛ تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، ج4، ص 46- 47؛ الزركلي، خير الدين، الإعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980، ج3، ص 22.

(22) كاترمير، مقدمة كتاب جامع التواريخ، م2، ج1، ص 11.

(23) المصدر نفسه، م2، ح1، ص 12.

(24) كاترمير، مقدمة كتاب جامع التواريخ، م2، ج1، ص 15- 16.

(25) ابن تيمية (ت 728هـ/ 1327م)، أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية؛ جمع وترتيب: عبد الرحمن العاصمي النجوي، الرياض، 1398هـ، ج8، ص 524- 525.

Eneyclopedia Britanica, (Articale on mongol)vol (15) – p725

(26) ابن كثير، البداية والنهاية، (مصر، 1358هـ/1939م)،ج14، ص 125.

(27) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية(مطبعة بولاق، مصر، 1980م)، ج1، ص 16.

(28) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج1، ص5؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ح14، ص 125.

(29) راجع كتاب منهاج السنة لابن تيمية.

(30) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك (القاهرة، 1936م)، ج،1 ق3 ص 886؛ مؤرخ مجهول، (ت 742هـ/ 1341م)، تاريخ سلاطين المماليك؛ تحقيق: رتير شتين (ليدن، 1919م)، ص 59؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م ، ص 208.

(31) ابن كثير، البداية والنهاية، ج14 ص 6، 7؛ المقريزي، السلوك، ح1، ق3، ص 889.

(32) مؤرخ مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، ص 61.

(33) المقريزي، السلوك، ج1، ق 3، ص 890.

(34) ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (مصر، المؤسسة المصرية العامة للتأليف)، ج8، ص 125.

(35) مؤرخ مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، ص 84.

(36) المقريزي، السلوك ج2؛ (طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص 336.

(37) ابن تيمية، الرسالة القبرصية، دار ابن حزم، بيروت، 1987، ص 14؛ الندوي ابن تيمية، ص 56 -57.

(38) المقريزي، السلوك، ج1، ق 3، ص 889؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 6، 7.

(39) الفرمان": عهد السلطان للولاة، قانون، معرب فرمان: الأمر البراءة، وهو لفظ فارسي، ويعني دستوراً موقعاً من الملك ويسمى بعصرنا بالمراسيم الملكية. انظر: زناتي، أنور محمود، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، دار زهران للنشر، عمان، 2011م، ص 299؛ الخطيب؛ معجم الألفاظ، ص 338.

(40) مؤلف مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، ص 61؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 8، ص 123.

(41) مؤلف مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، ص 110، 111.

(42) المقريزي، السلوك، ج1، ق 3، ص 890.

(43) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص8.

(44) كاترمير، مقدمة كتاب جامع التواريخ، م 2، ج 1، ص 15، 16.

(45) مؤلف مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، ص 71؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 8، ص 127.

(46) المقريزي، السلوك ج1، ق3، ص 894.

(47) المدرسة النورية: تقع في خط الخواصين في دمشق، أنشأ الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سنة 563هـ. انظر : النعيمي (ت987هـ/ 1597م) عبد القادر بن محمد، الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ج 1، ص 466.

(48) المدرسة العادلية: تقع داخل دمشق شمالي الجامع الأموي بغرب وشرقي الخانقاه الشهابية، أنشأها نور الدين محمود بن زنكي، وأكمل بناءها العادل وابنه المعظم، ومن أوقافها جميع ثرى الدريج وركيس وينطا ونكت. انظر: النعيمي، الدارس، ج 1، ص 271

(49) الحرافشة: مفرد حرفوش، لقب اتصل بجماعة من أحط طبقات المجتمع و أكثرهم من الشحاذين والمعوقين والمصابين ببعض العاهات، وهم على شكل جماعة شبه منظمة، ظهرت منذ العصر الأيوبي. انظر: الخطيب، معجم الألفاظ، ص 141.

(50) مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، ص 74.

(51) أنطاكية: هي قصبة العواصم من الثغور الشامية، بنيهاوبين حلب يوم وليلة. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج 1، ص 226.

(52) جبل السماق: جبل عظيم من أعمال حلب الغربية، يشتمل على مدن كثيرة وقلاع وقرى . انظر: الحموي، معجم البلدان، مج 2، ص 102.

(53) مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، ص 84.

(54) عاشور، مصر والشام، ص 208.

(55) اليساق: أو الياسة، وهي كلمة مغولية وتعني القوانين التي وضعها جنكيزخان ورتب فيها أحكاماً وحدد فيها حدوداً اتفق قليل منها مع الشريعة الإسلامية وخالفها في الكثير. انظر: زناتي، معجم المصطلحات الإسلامية، ص 425.

(56) الكورليات: يلفظ أيضاً القوريلتاي، وهو عبارة عن مجلس للشورى، يضم زعماء المغول من أجل البحث في شؤون دولة المغول وقد دعا إلى عقده جنكيزخان سنة 603هـ / 1206م، ومنذ ذلك أصبح تقليداً راسخاً عند المغول. انظر:رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ، (طبعة دار النهضة، بيروت، 1983)، ص 22؛ بوزورث، كليفورد، الأسرات الحاكمة في

التاريخ الإسلامي؛ ترجمة: حسين اللبودي، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ط2، 1995، ص 199.

(57) أبو زهرة، محمد، ابن تيمية، حياته وعصره (آراؤه وفقهه)، (دار الفكر العربي، 1991)، ص 32، 35؛ الندوي، المرجع السابق، ص 58،59.

(58) ابن تيمية، مجموع فتاوي، ج28، ص 502.

(59) المصدر نفسه،ج 28، ص 503، 504.

(60) المصدر نفسه، ج 28، ص 505.

(61) الجهمية: لقب فرقة من الخوارج المرجئة تنسب إلى جهم بن صفوان الترمذي (128هـ-745م)، قال اتباعها بالجبر والإرجاء، ونفي الصفات الأزلية. انظر: الخطيب، معجم المصطلحات، ص 128- 129.

(62) ابن تيمية، مجموع فتاوي، ج 28، ص 520-521.

(63) المصدر نفسه، ج 28، ص 521- 522.

(*) التومان:- وتلفظ الطومان، وهي فرقة من الجند يبلغ عدد أفرادها عشرة آلاف مقاتل، وتجمع على توامين وذلك في اصطلاح التتار (المغول). انظر: دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، والفكر، دمشق، 1990م، ص 48- 49

(64) مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، ص 62- 64.

(65) المقريزي، السلوك، ج1، ق 3، ص 893؛ مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، ص 71؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 8، ص 127.

(66) ابن تيمية، مجموع فتاوي، ج 28، ص 524- 225.

(67) راجع ص 4-11 من هذا البحث.

(68) ابن تيمية، مجموع فتاوي، ج 28، ص 524، 255، 256، 257.

(69) ابن تيمية، مجموع فتاوي، ج 28، ص 527، 528.

(70) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 24.

(71) المقريزي، السلوك، ج1، ق 3، ص 886.

(72) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 6- 7.

(73) إمام الدين الشافعي: عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد، قاضي القضاة إمام الدين أبو المعالي القزويني، توفي سنة 699هـ / 1299م، انظر: الصفدي، الوافي، ج 22، ص 310 -311.

(74) الزواوي: محمد بن سليمان بن سومر الزواوي، قاضي المالكية في دمشق. توفي سنة 717هـ/ 1317م، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج 2، ص 2147

(75) تاج الدين الشيرازي: أحمد بن محمد بن أبي نصر الشيرازي، محتسب دمشق وناظر الدواوين بها. توفي سنة 712هـ/1312م، انظر: المقريزي، السلوك، (طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م)، ج 2، ص 483.

(76) ابن النحاس: جمال الدين ابن النحاس، والي دمشق ومن أعيان المدينة، كان ممن هرب من وجه التتار سنة 699هـ / 1299م، وذلك عندما تعرضت المدينة للاجتياح الغازاتي، انظر: الذهبي (ت 748هـ / 1347م) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام؛ تحقيق: محمد تدمري، دار الكتاب العربي، ج 52، ص 73.

(77) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 7.

(78) النبك: قرية بين حمص ودمشق. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج 5، ص 258

(79) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 7؛ المقريزي، السلوك، ج1، ق 3، ص 889، 890؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 8، ص 123. ونقتبس هنا حديث كمال الدين بم الانيجا الذي رافق ابن تيمية وحضر معه إلى غازان: "كنت حاضراً مع الشيخ فجعل يحدث السلطان بقول الله ورسوله في العدل وغيره ويرفع صوته على السلطان ويقرب منه في أثناء حديثه حتى لقد قرب ان تلاصق ركبته ركبة السلطان، والسلطان مع ذلك مقبل عليه بكلية مصغ لما يقول شاخص إليه لا يعرض عنه، وان السلطان من شدة ما أوقع الله له في قلبه والهيبة سأل من هذا الشيخ؟ فأني لم أر مثله، ولا أثبت قلباً منه ولا أوقع من حديثه في قلبي ولا رأيتني أعظم انقياداً لأحد منه فأخبر بحاله وما هو عليه من العلم والعمل، فقال الشيخ للترجمان قل للقازان" أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وأمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا فغزوتنا وأبوك وجدك كانا كافرين، وما عملا الذي عملت، عاهداً فوفيا وأنت عاهدت فغررت، وقلت فما وفيت وجرت". كمال الدين الزملكاني، الكواكب

الدرية، ص 25-26، وردت في كتاب الدعوة في الإسلام لأبي الحسن الندوي، ج 2، ص 50-51.

(80) الغوطة: هي الكورة التي فيها دمشق، يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج 4، ص 219.

(81) المقريزي، السلوك، ج1، ق 3، ص 890؛ ابن تغري بردي؛ النجوم الزاهرة، ج 8، ص 125.

(82) قبجق: الأمير سيف الدين قبجق المنصوري نائب الشام. توفي سنة 710هـ/1310م، انظر: الصفدي، الوافي، ج 24، ص 133، 138.

(83) المقريزي، السلوك، ج1، ق 3، ص 891. 892.

(84) داريا: قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج 2، ص 431.

(85) المزة: قرية كبيرة في وسط بساتين دمشق. بينها وبين دمشق نصف فرسخ. انظر: الحموي، معجم البلدان، مج 5، ص 122.

(86) تل راهط:.

(87) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 8؛ المقريزي، السلوك، ج 1، ق 3، ص 892.

(88) المقريزي، السلوك، ج 1، ق 3، ص 896.

(89) أرجواش: الأمير أرجواش بن عبد الله المنصوري، نائب القلعة بالشام، توفي، 702هـ: انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج 2، ص 2119.

(90) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 8.

(91) ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص14؛ مجهول، تاريخ السلاطين المماليك، ص 79. 80.

(92) آقوش : الأمير جمال الدين أقوش الأفرم أحد مماليك السلطان المنصور قلاوون، ونائبه في دمشق، وتوفي سنة 716هـ/1316م، انظر: المقريزي، السلوك،(طبعة 1997م)، ج 2، ص 519

(93) الدروز: طائفة دينية، من طوائف الإسماعيلية الباطنية، تنسب إلى محمد بن إسماعيل الدرزي أبو عبد الله المقتول سنة 411هـ / 1020م، وهو الذي روج فكرة تألية الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة 408هـ / 1017م. عرفت فرائضهم بالفرائض التوحيدية. انظر: الخطيب، معجم المصطلحات، ص 178.

(94) المقريزي، السلوك، ج 1، ق 3، ص 3، 9

(95) المقريزي، السلوك،ج 1، ق 3، ص 900.

(96) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 8، ص 131.

(97) مرسوم: الأمر السلطاني، كما تدل على أوامر التعيين. انظر: زناتي، معجم المصطلحات، ص 361.

(98) ابن كثير، البداية والنهاية، ح 14، ص 41.

(99) المقريزي، السلوك، ج 1، ق 3، ص907.

(100) مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، ص 96؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 8، ص 136. 137 . 138.

(101) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 15.

(102) المقريزي، السلوك، ج 1، ق 3، ص 907؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص 130- 131.

(103) ابن تيمية، مجموع فتاوي، ج 28، ص 531.

(104) القرامطة: جماعة من غلاة الشيعة الإسماعيلية، نشأت في العراق، تنسب إلى حمدان قرمط المعروف باسم الفرج بن عثمان سنة 293هـ / 906م، أنشأوا دولة في البحرين وامتدت إلى الإحساء والشام. انظر: الخطيب، معجم المصطلحات، ص 349 - 350.

(105) ابن تيمية، مجموع فتاوي، ج 28، ص 532-533.

(106) ابن تيمية، مجموع فتاوي، ج 28، ص 538؛ انظر: السيوطي، (ت 911هـ/ 1505)، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق؛ محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء التراث العربية، 1968م)، ج 2، ص 109، 110.

(107) الأمير مهنا: حسام الدين مهنا ابن الأمير عيسى بن مهنا الطائي، أمير العرب في البرية بالقرب من سلمية، توفي سنة 735هـ/1334م انظر: الجزري، (ت738هـ/ 1337م)

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم، حوادث الزمان وأنبائه،؛ تحقيق: عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 1998م، ج 2، ص 823.

(108) ابن كثير، البداية والنهاية ج 14، ص 16.

(109) مؤلف مجهول، تاريخ سلاطين المماليك، ص 111.

(110) المصدر نفسه، ص 111-112

(111) شقحب: قرية في جنوب دمشق. انظر: الذهبي، الأعلام بوفيات الإعلام؛ تحقيق: رياض عبد الرزاق وآخرون، دار الفكر، بيروت، 1991م، ص 294.

(112) ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 26؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 8، ص 159.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن تيمية (ت 728هـ/ 1327م)، أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية؛ جمع وترتيب: عبد الرحمن العاصمي النجوي، الرياض، 1398هـ.

ابن تيمية، الرسالة القبرصية (دار ابن حزم، بيروت، 1987م)

ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية(مطبعة بولاق، مصر، 1980م).

ابن خلدون (ت 808هـ/ 1406م)، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون، (طبعة بيروت).

ابن كثير (ت774هـ/ 1372م)، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، بيت الأفكار الدولية، بيروت، 2004م.

ابن كثير، البداية والنهاية (مصر، 1358هـ/1939م)،ج14.

أبو الحسن الندوي، رجال الفكر والدعوة في الإسلام (خاص بحياة شيخ الإسلام ابن تيمية)، تعريب: سعيد الأعظمي الندوي، (الكويت، 1993).

أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت 684هـ/ 1285م)، المختصر في أخبار البشر (بيروت، 1970)، بيروت.

أبو زهرة، محمد، ابن تيمية، حياته وعصره (آراؤه وفقهه)، (دار الفكر العربي، 1991).

أبو شامة، (ت 665هـ/ 1269م)، شهاب الدين عبد الرحمن إسماعيل ابن إبراهيم المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين، المعروف بالذيل على الروضتين، (القاهرة).

بخيت، رجب محمود إبراهيم، تاريخ المغول وسقوط بغداد، مكتبة الإيمان، المنصورة، 2010م.

بوزورث، كليفورد، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي؛ ترجمة: حسين اللبودي، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ط 2، 1995.

الجزري، (ت738هـ/ 1337م) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم، حوادث الزمان وأنبائه،؛ تحقيق: عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 1998م.

الجويني، عطا ملك، تاريخ فاتح العالم؛ ترجمة: محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، د. م، 1985م.

حطيط، أحمد، حروب المغول (دراسة في الإستراتيجية العسكرية للمغول من أيام جنكيز خان حتى عهد تميورلنك)، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994.

الحموي (ت 726هـ / 1228م)، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979.

خصباك، جعفر حسين، العراق في عهد المغول الايلخانيين (بغداد، 1968م).

الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، والفكر، دمشق 1990م.

الذهبي (ت 748هـ / 1347م) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام؛ تحقيق: محمد تدمري، دار الكتاب العربي.

الـذهبي (ت 748هـ/ م) شـمس الـدين محمد بـن أحمـد ابـن قايمـاز، سـير أعـلام النـبلاء، بيت الأفكار الدولية، بيروت، 2004م.

الـذهبي، الأعـلام بوفيـات الإعـلام؛ تحقيـق: ريـاض عبـد الـرزاق وآخـرون، دار الفكـر، بيروت، 1991م.

الـذهبي، ذيـول العبـر؛ تحقيـق: أبـو هـاجر محمد السـعيد، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، 1985،

ذيـل جـامع التـواريخ، (مخطوطـة فارسـية) رقـم 168م، ورقـة 452 (وهـو ذيـل جـامع التواريخ)، لحافظ أبرو وهو مطبوع).

رشـيد الـدين الهمـذاني (ت 718هـ/ 1318م)، جـامع التـواريخ؛ ترجمـة: فـؤاد عبـد المعطـي الصياد وآخرون، (القاهرة).

الزركلي، خير الدين، الإعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5 1980.

زنـاتي، أنـور محمـود، معجـم مصـطلحات التـاريخ والحضـارة الإسـلامية، دار زهـران للنشـر، عمان، 2011م.

السـيوطي (ت 911هـ/ 1505)، جـلال الـدين عبـد الـرحمن بـن أبـي بكـر، حسـن المحاضـرة فـي تـاريخ مصـر والقـاهرة، تحقيـق؛ محمد أبـو الفضـل إبـراهيم، (دار إحيـاء التراث العربية، 1968م).

الصـفدي (ت 1362/764م)، الـوافي بالوفيـات؛ تحقيـق: أحمـد الأرنـاؤوط، دار إحيـاء التراث العربي، بيروت 2000م،

الصـلابي، علـي محمد محمد، المغـول التتـار بـين الانتشـار والانكسـار، الأنـدلس الجديـدة، مصر، 2009.

عاشـور، سـعيد عبـد الفتـاح، مصـر والشـام فـي عصـر الأيـوبيين والمماليـك، دار النهضـة العربية، بيروت 1982م.

فهمي، عبد السلام عبد العزيز، تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة، 1981.

المقريزي، السلوك، (طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م).

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك (القاهرة، 1936م).

مؤرخ مجهول، (ت 742هـ/ 1341م)، تاريخ سلاطين المماليك؛ تحقيق: رتير شتين (ليدن، 1919م).

النعيمي (ت987هـ/ 1597م) عبد القادر بن محمد، الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

النويري، (ت 733هـ/ 1332م)، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. نهاية الأرب في فنون الأدب؛ تحقيق: نجيب فواز، دار الكتب العلمية، بيروت.

المراجع الأجنبية:

1. Arnold,T., the Peaching of Islam (Iahor, 1979) P235; Berrtold, mongols in history, (London, 1972)

2. Maulana Minhajuddin Abu Aumar Al-Juzjani (D. 1260Ad). Tabaqat-i-nasidi, A General History of Muhammadan Dynasties of Asia Frome A.H 194 (A.D.810) To A.H 658 (A.D.1260) And The Irruption Of The Infidel (Mughals Into Islam, Tr. From Original Persian Manuscript, By Major Ravert, Tow Vols. (New Delhi, 1970).